مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (١٠)

أنساق التحول الزمنى فى القرآن الكريم فى ضوء النظرية التداولية

إعداد

د/ عصام عبد المنصف أحمد أبو زيد

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الطائف

السنة ٢٨ العدد (١٠٩) ابريل ٢٠١٧م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أنساق التحول الزمني في القرآن الكريم في ضوء النظرية التداولية

د/ عصام عبد المنصف أحمد أبو زيد

أستاذ النحو والصرف والعروض المشارك بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الطائف

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة أنساق التحول الزمني في القرآن الكريم، ورَصْد الصيغ المستعملة في ذلك، وتحليلها في ضوء النظرية التداولية؛ لِمَا لهذه النظرية من أهمية في تحليل الخطاب، وذلك من خلال البحث في العلامات القائمة بين اللغة ومتداوليها. وقد اتبعتُ في ذلك المنهج الوصفي القائم على استقراء هذه الأنساق في القرآن الكريم والوقوف على بعضها بالتحليل.

وقد خلص هذا البحث إلى أنَّ الزمن لا ينحصر في الصيغ الفعلية المسموعة فحسب، وإنما يمتدُّ ليشمل الصيغ الاسمية التي تعمل عمل الفعل، وبناء الجملة الذي يدل على الزمن معتمدًا على القرائن اللفظية والمعنوية، فضلا عن أنَّ السياق اللغوي هو المنوط بتحديد الدلالة الزمنية للصيغة، سواء أكانت اسمية أم فعلية.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أنساق التحول الزمني في القرآن الكريم في ضوء النظرية التداولية

المقدمة

إنَّ الوقوف على الدلالة الزمنية للحدث الكلامي بين المتكلم والمخاطَب أمرٌ ضروري؛ لأنَّ ذلك يرشدنا إلى الآلية التي نظم من خلالها المتكلم ما يريد قوله وفقا لحالة المخاطب؛ فضلا عن أنَّ ذلك يساعد في الوصول إلى المعنى الذي يرومه المتكلم. وهذا ما تُعنى به التداولية.

وتقوم فكرة التحول الزمني على التحول في الصيغ المستعملة في الخطاب، ويُعدُّ التحول في الصيغ من أهم عناصر التحليل اللغوي التي تساعد في انبثاق الدلالات والإيحاءات؛ فما من تَحَوُّلٍ عن صيغة إلى أخرى إلا ويصحبه تَحَوُّلٌ عن معنى إلى آخر. ويعتمد التحول الزمني في القرآن الكريم على أمرين: الأول: التعبير بصيغة فعلية مغايرة للسياق الواردة فيه، ومن ثم تُحمل دلالتها الزمنية على المعنى العام للسياق، كقوله تعالى: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل:١]، والثاني: التحول عن صيغة زمنية (اسمية أو فعلية) إلى صيغة زمنية مغايرة (اسمية أو فعلية).

وإنَّ مجيء الصيغة في القرآن الكريم على هيئة زمنية معينة مستعملةً في سياق مغاير لهيئتها الزمنية أمرٌ مقصودٌ لذاته، وهذه القصدية هي التي تُتَمِّي عملية التواصل بين النص القرآني والقارئ؛ إذ تدفع القارئ أو المتلقي إلى معالجة هذا الاستعمال من خلال البحث عن المعنى غير المرئي، ولا شك أنَّ هذا التحول يعتمد في تحليله على السياق المقامي للصيغة والسياق المقالي أو الخطابي لها؛ فالسياق هو الذي يتحكم في مسار الكلام على الوجه الذي يتوافق فيه مع النظم القرآني. فضلًا عن أنَّ هذا التحول الزمني ما كان يُدرَك لولا عِلْمُ المخاطَب به؛ فلمَّا كان المخاطَبُ يعلمُ ما يُعنى كان هذا التحول الزمني؛ ومن هنا كان اختيار معالجة هذا البحث في ضوء التداولية.

وقد تعددت أنساق التحول الزمني في القرآن الكريم؛ ولهذا رصدتُ أكثر هذه الأنساق استعمالا، وذلك في أربعة مباحث: أولها: التحول الزمني بين الأفعال، وثانيها: التحول الزمني بين الفعل واسم الفاعل، وثالثها: التحول الزمني بين الفعل والمصدر، ورابعها: التحول الزمني بين المصدر الصريح والمصدر المؤول. وقد سُبِقت هذه المباحث بمقدمة وتمهيد تناولتُ فيه مفهوم الأنساق، ومفهوم التحول الزمني، والزمن بين الفعل والمشتقات، ومفهوم التداولية، ثم ذُيِّلَتْ بعد ذلك بخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

التمهيد

لعله من تمام الفائدة أنْ نقف أولًا على حدود المصطلحات التي وردت في هذا البحث؛ حتى تَتَبَيَّنَ لنا ماهيَّتُها، ويهتدي بها القارئ إلى المغزى من هذا العمل.

أولًا: مفهوم الأنساق

قال ابن منظور: " النَّسَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ نِظَامٍ وَاحِدٍ ... نَسَقَ الشَّيْءَ يَنْسُقُهُ نَسْقًا وَنَسَّقَهُ نَظَّمَهُ عَلَى السَّوَاءِ ... وَالاسْمُ النَّسَقُ ... وَثَغْرٌ نَسَقٌ، وَخَرَزٌ نَسَقٌ، أَيْ مُنْتَظِمٌ ... وَالنَّسَقُ مَا جَاءَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ "[1]. وهكذا تدلُّ المادة المعجمية على النظام أو الشكل أو النمط الذي يأتي عليه الكلام؛ ومن ثَمَّ فإن المقصود بالأنساق هو أنظمة التحول الزمني أو أشكاله المستعملة في القرآن الكريم.

ثانيًا: مفهوم التحول الزمني

التَّحَوُّلُ في اللغة هو التَّنَقُّلُ؛ قال ابن منظور: " الْمُحَالُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا عُدِلَ بِهِ عَنْ وَجْهِهِ ... وَتَحَوَّلَ: تَنَقَّلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرَ. وَالتَّحَوُّلُ: التَّنَقُّلُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، وَالِاسْمُ الْحِوَلُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف:١٠٨] "[2]. ومنْ ثَمَّ فإنَّ المقصود بالتحول الزمني هو التنقل أو العدول عن صيغة تحمل زمنا معينا إلى صيغة أخرى تدل على زمن جديد، أو العدول عن صيغة لا تقترن بزمن معين إلى صيغة تقترن به وتدل عليه.

وظاهرة التحول في الصيغ الصرفية ظاهرة ضاربة بجذورها في الاستعمال اللغوي؛ والشواهد على ذلك أكثر من أنْ تُحْصَى مِنْ كلام العرب شعرًا ونثرًا، ومن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. وهناك العديد من الدراسات التي تناولت الصيغ الصرفية بالدراسة من حيث تعدد أبنية هذه الصيغ، وما يترتب عليه من تعدد معانيها من فاعلية، ومفعولية،

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٨هـ = ١٩٩٧م، مادة (ن س ق).
(٢) السابق: مادة (ح و ل).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ومبالغة، وتفضيل، وغيرها[١]. ولكني لم أجد في إحدى هذه الدراسات معالجةً لفكرة التحول الزمني في القرآن الكريم، غير ما ذُكر من بعض الشواهد التي لا تعبر عن أنساق ذلك التحول. ومن هنا يأتي تفرد هذه الدراسة.

ثالثًا: الزمن بين الفعل والمشتقات

لمَّا كانت المشابهة قائمة بين الفعل والمشتقات، عدَّها بعض الباحثين فروعًا للفعل في العمل، بل منهم مَنْ جعل المصدر وما يعمل عمل الفعل من المشتقات أفعالا وليس شبيهات بالفعل[٢]؛ " فهي – أي المشتقات – لا تحمل الزمان في بنيتها الصرفية – كما عزوا ذلك للفعل – وإنما تحمله في سياقها النحوي "[٣]. ولهذا فرَّق الدكتور تمام حسان بين الزمن النحوي للصيغة والزمن الصرفي لها؛ فالزمن النحوي هو " وظيفة في السياق يؤديها الفعل أو الصفة أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر "[٤]، أما الزمن الصرفي للصيغة فهو " وظيفة صيغة الفعل مفردة خارج السياق "[٥].

وقد قَسَّمَ النحاة الأفعال بالنظر إلى دلالتها الزمنية، وجعلوا لكلِّ بناء منها دلالته التي تُمَيِّزُهُ عن غيره، فجعل سيبويه بناء " فَعَلَ " و " فُعِلَ " مرتبطين بالدلالة على الماضي، وبناء "افْعَلْ " مرتبطًا بالدلالة على المستقبل، أما بناء " يَفْعَلُ " و " يُفْعَلُ " فجعلهما مشتركين بين الدلالة على الحاضر والمستقبل؛ فقال: " وأما الفعل فأمثلة أُخِذَتْ مِنْ لَفْظِ أحداث الأسماء، وبُنِيَتْ لِمَا مضى، ولِمَا يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع. فأما بناء ما مضى فَذَهَبَ

---

(١) انظر: عبد العظيم، د. أحمد، الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية، دار النصر للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، (دت)، وياقوت، د. محمود سليمان، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٥م، والسامرائي، د. فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط١٤٢٨/٢هـ=٢٠٠٧م، والجندي، د. طه محمد، التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م، وهنداوي، د. عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.

(٢) انظر: السامرائي، د. إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١٤٠٣/٣هـ=١٩٨٣م، ص٤١.

(٣) الريحاني، د. محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (دت)، ص١٣٥.

(٤) حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها وبناها، عالم الكتب، ط١٤٢٥/٤هـ=٢٠٠٤م، ص٢٤٠.

(٥) السابق: نفسه.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وَسَمِعَ وَمَكُثَ وَحُمِدَ. وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمِرًا: اِذْهَبْ واقْتُلْ واضْرِبْ، ومُخْبِرًا: (يَقْتُلُ) ويَذْهَبُ ويَضْرِبُ ويُقْتَلُ ويُضْرَبُ، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائنٌ إذا أَخْبَرْتَ "[1].

وقد اتفق النحاة القدامى على أنَّ الفعل حدثٌ مقترنٌ بزمن معين، وعلى هذا دارت تعريفاتهم للفعل، قال ابن السراج: " الفعل ما دلَّ على معنى وزمان، وذلك الزمان إما ماض، وإما حاضر، وإما مستقبل "[2] وهو مُتَّبِعٌ في ذلك ما قاله سيبويه، وهذا هو التقسيم البصري للفعل، أما الكوفيون فقد قَسَّمُوا الفعل إلى ماض، ومستقبل، ودائم؛ قال الفراء: " ... تقول: منعتك أنْ تقوم، ولا تقول: منعتك أنْ قمتَ؛ فلذلك جاءت في (ما لك) في المستقبل، ولم تأت في دائم ولا ماض "[3]. وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم الزجاجي في تقسيمه للفعل، لا في تعريفه له؛ إذ قال في تعريفه: " والفعل ما دلَّ على حدثٍ وزمانٍ ماضٍ أو مستقبل "[4]، أما في تقسيمه له فقد قال: " الأفعال ثلاثة: فعلٌ ماضٍ، وفعلٌ مستقبلٌ، وفعلٌ في الحال يُسمَّى الدائمَ "[5]. وهو بهذا التقسيم يؤكد ما ذهب إليه الفراء وتَبِعَهُ فيه الكوفيون. والمقصود بالدائم لديهم هو اسم الفاعل المتطلب للمفعول[6]، وبهذا فإنَّ الزمن لدى الكوفيين لم يكن محصورا في أبنية الفعل فحسب؛ وإنما يشمل صيغا عدة يربط بينها الدلالة الزمنية كاسم الفاعل والمصدر؛ فقد أشار الفراء إلى الفعلية في المصدر بقوله: " ...

---

(1) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤٠٢ه=١٩٨٢م، ١٢/١.

(2) ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣/١٤١٧هـ=١٩٩٦م، ٣٨/١.

(3) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣/١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ١٦٥/١.

(4) الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الجمل في النحو، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٤هـ=١٩٨٤م، ص١.

(5) السابق: ٧.

(6) انظر: الفعل زمانه وأبنيته:١٩.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وأنتَ تقولُ في الأفعال فَتُوَحِّدُ فِعْلَهُمَا بعدهما فتقول: إقْبَالُكَ وإدْبَارُكَ يَشُقُّ عليَّ، ولا تقول: أخوك وأبوك يزورُنِي "[1].

لكنَّ ما أشار إليه الفراء لم يَفُتْ سيبويه أنْ يُنَبِّهَ إليه؛ فقد قال في اسم الفاعل: " وتقول: أعمرًا أنتَ واجدٌ عليه، وأخالدًا أنت عالمٌ به، وأزيدًا أنت راغبٌ فيه، لأنك لو ألقيت عليه وبه وفيه مِمَّا هاهنا لتَعَتَبِرَ، لم يكن ليكون إلا مِمَّا ينتصب، كأنه قال: أعبدَ الله أنت تَرْغَبُ فيه، وأَعَبْدَ الله أنتَ تَعْلَمُ به، وأَعَبْدَ الله أنتَ تَجِدُ عليه "[2]. وكذلك ذَكَرَ عدة شواهد مما أُجْرِيَ فيها المصادر مُجْرَى الفعل[3].

أما المحدثون من النحويين واللغويين والباحثين في علم اللسان العربي فقد كثر حديثهم حول مسألة الزمن في العربية، وأفردوا لذلك العديد من المؤلفات[4]، ومنهم من رأى أنَّ الزمن ليس شيئًا أصيلا، وأنَّ اقتران الفعل العربي به حديث النشأة[5]. وإنْ كان في هذا شيء من الغلو إلا أنه مبنيٌّ على ما صادفوه من مشكلات تطبيقية في الاستعمال اللغوي، تتمثل في تحول الصيغ الفعلية أو انحراف دلالتها الزمنية، كاستعمال الماضي مكان المضارع، واستعمال المضارع مكان الماضي، واستعمال المصدر مكان الفعل، وغير ذلك مما اضطر

---

(1) معاني القرآن: ٤٥.
(2) الكتاب: ١٠٩/١.
(3) انظر: السابق: ١١٥/١، ١١٦.
(4) منها على سبيل التمثيل لا الحصر: الفعل زمانه وأبنيته، واتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، ودراسات في الفعل للدكتور عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٢هـ=١٩٨٢م، والزمن واللغة للدكتور مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٨٦م، ودلالة الزمن في العربية لعبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١/٢٠٠٦م، وغير ذلك من المؤلفات التي ضمت في فصولها مسألة الزمن في العربية، وذلك نحو: من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس،، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧/١٩٨٥م، واللغة العربية معناها وبناها، وفي النحو العربي: نقد وتوجيه، للدكتور مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤٠٦هـ=١٩٨٦م، وغيرها.
(5) انظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٤٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

بعض الباحثين العرب والمستشرقين إلى القول بعدم ربط الصيغة بزمن معين[١]، أو إلى اللجوء إلى فكرة " التفريغ الزمني"[٢]، أي تفريغ الصيغة من زمنها لتدل على الحدث بعيدا عن الزمن، مؤكدين أنه عند وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد لا بد من تفريغ إحدى الصيغتين من الزمن؛ حتى يسلم التركيب، وينسجم النسق اللغوي والتأويل المنطقي لديهم. لكنه في الحقيقة تأويل بعيدٌ عن المنطق؛ لأنَّ الفعل ما هو إلا وعاء للزمن سواء أكان زمنه صرفيا خارج السياق، أم نحويا داخل السياق. ولو أنهم فرَّقُوا بين الزمن الصرفي للصيغة والزمن النحوي لها لَمَا هداهم غُلُوُّهُم إلى ما قالوه. ولهذا يؤكد الدكتور إبراهيم السامرائي[٣] – على رغم نقده لمنهج النحاة في الاستدلال الزمني – أنَّ الزمن جزءٌ أصيلٌ في الفعل العربي، وأنه ليس صحيحا أنْ نكرر ما يقوله جماعة من الباحثين من أنَّ الزمن ليس شيئا أصيلا، أو أنَّ اقتران الفعل به حديث النشأة.

ولعلَّ فكرة " التفريغ الزمني للصيغة " التي قالها بعض الباحثين مأخوذة من عبارة المستشرق (بول كراوس) التي يعني بها " عدم زمنية الفعل العربي "[٤]، وهي محاولة منه لهدم زمنية الفعل العربي، لكنَّ اللافت للنظر أنَّ الدكتور المطلبي يستشهد برأي ذلك المستشرق، ويؤكد صحته ووجاهته، بل يلتمس من أقوال علمائنا العرب ما يستدل به على صحة تلك العبارة قائلا: " إنَّ صيغة (فَعَلَ) تشير إلى الحدث التام، التام الفعلية لا الزمنية، أي أنَّ حدث (فَعَلَ) حدث متجدد، مقطوع به، أي حدث متحرك له دلالة القطع أو التأكيد أو التثبيت. وهذا هو جوهر رأي المستشرق (بول كراوس) "[٥]، ثم يحاول الدكتور المطلبي تأكيد كلامه بأنَّ ما ذهب إليه (بول كراوس) هو جوهر ما لاحظه الأستاذ عباس العقاد في قول القائل: " صحبتك السلامة "، و " حفظك الله "، و " رعاك الله "، وأنَّ الأفعال (صحب، وحفظ، ورعى) أفعال مفرغة من الزمن، قُصِد منها شعور بقوة الأمل في الاستجابة.

---

(١) انظر: أنيس، د. إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧/١٩٨٥م، ص١٧٢.
(٢) انظر: الزمن واللغة: ٦٩.
(٣) انظر: الفعل زمانه وابنيته: ٢٣.
(٤) انظر: الزمن واللغة: ٧٠.
(٥) السابق: ٦٩.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ولكنَّ الأستاذ العقاد في مقالته عن الزمن في اللغة العربية لم يذكر فكرة تفريغ الأفعال من الزمن لا تصريحًا ولا تلميحًا، بل أكَّدَ تأكيدًا واضحًا عراقةَ اللغة وارتقاءَهَا لارتباط أفعالها بالزمن؛ " فاللغة التي تدلُّ على الزمن بعلامات مقررة في الفعل أعرَقُ وأكْمَلُ من اللغة التي خَلَتْ من تلك العلامات. وبمقدار الدلالة تكون العراقة والارتقاء "[1].

ولا بد من توضيح ما دار حول تلك الأمثلة السابقة؛ لكيلا يظن ظانٌّ أنَّ العقاد ممَّنْ قَبِلَ فكرة التفريغ الزمني للصيغ، فإنَّ ما قاله عن الأمثلة السابقة هو أنَّ الفعل فيها ليس في حاجة إلى النقل من صيغة الماضي إلى الحاضر؛ " لأن المعنى بالبداهة مُعَلَّقٌ بالاستقبال. وفي بقائه على صيغة الماضي ما يُشْعِرُ بقوة الأمل في الاستجابة. كأنَّ ما يُرْجَى أنْ يكون قد كان وأصبح من المحقق المستجاب. ولا شك أنَّ هذا المعنى مقصودٌ لأنه لم يأت عن عجز في اللغة. ولا يمتنع على قائل أنْ ينقله إلى صيغة المضارع إذا شاء "[2]. وهكذا يؤكد العقاد فكرة الزمن النحوي للصيغة، لا التفريغ الزمني لها؛ إذ إن السياق هو المنوط بتحديد الدلالة الزمنية لصيغة الكلمة. وبهذا النص يبطل استدلال الدكتور المطلبي بقول العقاد في ما سبق.

ولو أنصف أولئك المشتغلون بالعربية لقالوا: كان ينبغي أنْ يُقال: إن الزمن لا ينحصر في الصيغ الفعلية المسموعة فحسب، وإنما يمتدُّ ليشمل الصيغ الاسمية التي تعمل عمل الفعل، وبناء الجملة الذي يدل على الزمن معتمدًا على القرائن اللفظية والمعنوية، فضلا عن أنَّ السياق اللغوي هو المنوط بتحديد الدلالة الزمنية للصيغة، سواء أكانت اسمية أم فعلية.

(1) العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م، ص ٦٠.
(2) السابق: ٦٦.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

رابعًا: مفهوم التداولية

تعددت مفاهيم التداولية في الدرس اللساني الحديث؛ فهي إحدى ترجمات المصطلح الإنجليزي (pragmatics)، وقد اختُلِف في ترجمة هذا المصطلح؛ إذ يرى بعض اللغويين أنه يعني علم التخاطب، ويرى آخرون أنه يعني التداولية[١]، وعلى أية حال فإن التداولية " تعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي "[٢].

وتعدُّ التداولية حقلا من حقول الدراسة المتداخلة مع علمي النحو والدلالة، فإذا كان النحو يقوم بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية وطريقة تنظيمها في تَتَابُع معين، وإذا كان علم الدلالة يختص بدراسة كيفية ارتباط هذه الصيغ بالأشياء، فإن التداولية تقوم بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدميها[٣]؛ مما يجعلها قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية والدلالية.

وإذا كانت اللغة هي " أصوات يُعَبِّرُ بها كل قوم عن أغراضهم "[٤] على حدِّ تعبير ابن جني، فإنها تقوم – باعتبارها من أهم وسائل التواصل – على أمرين: أولهما: المنظومة اللغوية/اللسانية التي يتكفل عِلْمَا الصرف والنحو بسلامتها وصحتها. وثانيهما: تفاعل هذه المنظومة اللغوية مع السياق المحيط بها؛ لمساعدة المتلقي على التفريق بين المعنى الحرفي للمنطوق والمعنى الذي يقصده المتكلم. ومن هذا التواصل والاستعمال الفعلي للغة نشأ التفكير التداولي. ولعلَّ هذا هو ما تأسس عليه الدرس البلاغي عند العرب القائم على اشتراط مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ إذ جُعِلَ المخاطَبُ بذلك نَصْبَ أعين البلاغة العربية. ولهذا يرى " ليتش " أنَّ البلاغة تداولية في صميمها؛ لأنها تمارس الاتصال بين المتكلم

---

(١) انظر: حمداوي، د. جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط١/٢٠١٥م، ص٧.
(٢) انظر: هالين، فرناند، التداولية، ترجمة: د. زياد عز الدين عوف، الآداب العالمية، ص ٦٧.
(٣) انظر: يول، جورج، التداولية، ترجمة: د. قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١/١٤٣١هـ=٢٠١٠م، ص٢٠.
(٤) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ٣٣/١.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والسامع[1]، كما يؤكد الدكتور صلاح فضل أنَّ " البلاغة والتداولية البرجماتية تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي؛ على أساس أنَّ النص اللغوي في جملته إنما هو " نص في موقف "[2].

إنَّ الوقوف على الدلالة الزمنية للحدث الكلامي بين المتكلم والمخاطَب أمرٌ ضروري؛ لأنَّ ذلك يرشدنا إلى الآلية التي نظم من خلالها المتكلم ما يريد قوله وفقا لحالة المخاطب؛ فضلا عن أنَّ ذلك يساعد في الوصول إلى المعنى الذي يرومه المتكلم. وهذا ما تُعنى به التداولية.

وإنَّ مجيء الصيغة في القرآن الكريم على هيئة زمنية معينة مستعملةً في سياق مغاير لهيئتها الزمنية أمرٌ مقصودٌ لذاته، وهذه القصدية هي التي تنمي عملية التواصل بين النص القرآني والقارئ؛ إذ تدفع القارئ أو المتلقي إلى معالجة هذا الاستعمال من خلال البحث عن المعنى غير المرئي، ولا شك أن هذا التحول يعتمد في تحليله على السياق المقامي للصيغة والسياق المقالي أو الخطابي لها؛ فالسياق هو الذي يتحكم في مسار الكلام على الوجه الذي يتوافق فيه مع النظم القرآني. فضلًا عن أنَّ هذا التحول الزمني ما كان يُدرَك لولا عِلْمُ المخاطَب به؛ فلمَّا كان المخاطَبُ يعلمُ ما يُعنى كان هذا التحول الزمني؛ ومن هنا كان اختيار معالجة هذا البحث في ضوء التداولية.

المبحث الأول: التحول الزمني بين الأفعال

تتعدد أنساق التحول الزمني بين الأفعال في القرآن الكريم؛ فقد يُعبَّرُ بالماضي عن المستقبل، أو يُعبَّرُ به عن الدوام الزمني، وقد يُعبَّرُ بالمضارع عن الماضي، أو يتحول النسق اللغوي من ذِكْرِ الماضي إلى المضارع أو العكس. ولعلَّ هذا من سمات لغة القرآن؛ إذ يفاجأ القارئ بخروج الفعل عن دلالته الزمنية الموضوعة له إلى دلالة زمنية جديدة يفرضها السياق، وتقتضيها الأحوال النفسية والعلاقات المحيطة بالموقف اللغوي؛ وبهذا يكون التحول

---

(1) انظر: فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١٦٤، أغسطس١٩٩٢م، ص٨٩.

(2) السابق: نفسه.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الزمني تأكيدًا على مراعاة حال المخَاطَبِ، فضلا عن كونه وسيلةً من وسائل جذب انتباه المتلقي وإيقاظه. ومن هذه الأنساق ما يأتي:

أولا: التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل

ويُدْرَكُ هذا التحول بقرينة السياق، كقوله تعالى: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾ [الأعراف:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر:١]، وقوله تعالى: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:١]، فهذا مما خرجت فيه الصيغة عن أصل وضعها من حيث الدلالة الزمنية؛ فنداءُ أصحابِ الجنةِ أصحابَ النارِ لم يقع بعدُ، ولن يكون إلا بعد دخول كلِّ فريق في مُستقرِّه، ولكنَّ الإخبار عنه بصيغة الماضي يؤكد تَحَقُّقَ وقوعه؛ فهو استشرافٌ لما سيقع بصيغة ما وقع للتَّبْكِيتِ على المآل، ولا يخفى على القارئ ما يحمله السؤالُ من تقريعٍ وتعييرٍ لأصحاب النار.

وأما انشقاق القمر فإنْ لم يكن قد انشق فهو واجب الانشقاق، وهو أمرٌ مستقبلي، لكنَّ التعبير عنه بصيغة الماضي أضفى على السياق مزيدا من التخويف مما لم يقع، فصار بهذه الصيغة كأنه قد وقع وشُوهِدَ عِيَانًا.

وأما الفعل " أتى " فقد جاء بصيغته الماضوية في سياق مستقبلي، والقرينة الدالة على ذلك لفظية في الآية وهي قوله: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾، ولإدراك حقيقة التحول الزمني في هذا الفعل لا بدَّ مِنْ رَبْطِ مطلع هذه السورة بخواتيم ما قبلها، فقد قال تعالى مخاطبا نبيه (ﷺ) في أواخر سورة الحجر: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٤-٩٩]، ثم يَعْقُبُ هذه الآياتِ الأمرُ الحاسمُ المزلزلُ لِكِيَانِ أولئك المشركين المستهزئين ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ ﴾، وقد اختلف أهل التأويل في حقيقة " أمر الله "، فقال بعضهم: هو فرائضه وأحكامه، وقال آخرون: هو قُرْبُ الساعةِ ودُنُوُّ العذابِ وحضورُ أَجَلِهِ[1]، ولعلَّ القول الثاني

---

[1] انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م، ١٥٨/١٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

هو الأكثر ملاءمة للسياق؛ إذ إنَّ السياقَ سياقُ تهديدٍ لأهل الكفر، وإعلام لهم بقرب عذابهم وهلاكهم؛ ولذلك عقَّب سبحانه بقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾؛ فدلَّ بهذا التنزيه على تقريع المشركين ووعيده لهم.

ويتجلى البعد التداولي في الآيات من علم الله – سبحانه – بحال المخاطَبين؛ فلما عَلِمَ الله– تعالى – حال أولئك المشركين الذين كذبوا رسوله (ﷺ) خاطبهم بما يقذف الرعب في قلوبهم؛ فجاء التعبير مُؤْثِرًا صيغة الماضي " أتى " الدالة على تعجيل هذا الأمر، وكأنه نفذ وانتهى وقوعه، أو كأنَّ الإتيان قد انتهى ووصل إلى تمام فعليته، وذلك على طريقة نَظْمِ المتوَقَّعِ حُدُوثُهُ في سِلْكِ الواقع التام[1]. ثم تزداد نبرة التهديد في الخطاب مصحوبة بالتفخيم والتهويل، من خلال إضافة الأمر إلى الله – تعالى –؛ إيذانًا بأنَّ تحقق الإتيان منوط بحكم الله النافذ وقضائه الغالب.

ومن المواضع التي يأتي فيها الفعل الماضي دالًّا على حدث مستقبلي وقوعه بعد إذا، وذلك كثير نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [المنافقون:١]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ [النازعات:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴾ [عبس:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر:١]، وغير ذلك كثير مما جاء فيه التعبير بصيغة الماضي في السياق المستقبلي؛ إجراءً لما سيقع من الأحداث مجرى الواقع المتحقق.

ثانيًا: التعبير بالفعل الماضي عن الدوام الزمني

قد يتجرد الفعل الماضي من دلالته الماضوية الموضوعة له، وعندئذٍ يصلح مدلوله للحدوث في جميع الأزمنة: الماضي، والحاضر، والمستقبل، وهذا هو معنى الدوام الزمني، الذي يختص به الفعل الماضي دون المضارع والأمر، وذلك عند إسناد فعل الكون إلى الله – تعالى – كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٣٠]، وقوله تعالى:

---

[1] انظر: الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دت)، ٩٠/١٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [النساء:١٣١]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء:١٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [الكهف:٤٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح:٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [الفتح:١٤]، وغير ذلك كثير مما أُخبرَ فيه عن الله – عزَّ وجلَّ – بالعديد من الصفات، فلا يقتصر الإخبار عندئذ على زمن دون غيره من الأزمنة.

ثالثًا: التعبير بالفعل الماضي عن الزمن الحالي

وذلك إذا كانت هناك قرينة لفظية دالة على ذلك التحول، نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾ [النساء:١٨]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [يوسف:٥١]، أو قرينة معنوية مفهومة من السياق، كقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل:٤٤]، ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٣]؛ فمجيء الأفعال بصيغة الماضي في الآيات السابقة بمثابة الإقرار بمزاولة الحدث الكلامي، وتَلَبُّسِ فاعله به، وإتمامه له؛ فلمَّا عَلِمَ الله – عزَّ وجلَّ – حال أولئك المتكلمين، أجرى الكلام على لسانهم بهذه الصيغة الماضوية الدالة على ذلك؛ فَقَوْلُ مَنْ يَحْضُرُهُ الموتُ: ﴿ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾، بصيغة الماضي إعلانٌ عما يَغْمُرُهُ من معاينة الملائكة، وحشرجة الموت، وهَوْلِ الموقف؛ فلهذا يبادر بقوله: ﴿ إِنِّي تُبْتُ ﴾، وكأنه يُمَنِّي نفسه بأنَّ توبته قد قُبِلَتْ، لكنَّ قرينة " الْآنَ " مُشْعِرَةٌ بعدم استيفاء التوبة لشروط قبولها؛ ومِنْ ثَمَّ صُدِّرَت الآية بالقول القاطع والحاسم: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾. وأما قول امرأة العزيز: ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ بصيغة الماضي في سياق الحال، فهو إعلان صريحٌ منها بإقرار الحقِّ في مقرِّه، ووضْعِهِ في موضعه؛ وهذا إيذانٌ منها بإقناع مخاطَبيها لتصديقها في ما تقول. وأما قول صاحبة سبأ: ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ ﴾ بصيغة الماضي في سياق الحال فهو دليلٌ على انقيادها التام، وإذعانها لله بالتوحيد، بعد اعترافها

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الصريح بأنها قد ظلمت نفسها بعبادتها للشمس، وسجودها لغير الله. وأما قول موسى – عليه السلام –: ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾ بعد أنْ أفاق من الصعقة التي خرَّ بها، منزِّهًا ربَّهُ ومُعْلِنًا توبته بصيغة الماضي في السياق الحالي، فهو دليلٌ على نَدَمِهِ على ما وقع فيه مِنْ أمرٍ عظيمٍ، وهو سؤاله أنْ يرى رَبَّهُ في الدنيا، فضلا عن أنَّ صيغة الماضي في هذا السياق تدلُّ على حُسْنِ ظنِّ موسى – عليه السلام – بِرَبِّهِ في قبول تَوْبَتِهِ؛ ولذلك جاءت توبته غير مقيدة بالظرف الآني (الآن)، كما سبق في توبة مَنْ يَحْضُرُهُ الموتُ؛ إيذانًا بقبولها من الله – سبحانه –.

رابعا: التحول عن التعبير بالفعل المضارع إلى التعبير بالفعل الماضي

وذلك بأنْ يتقدم التعبير في النسق اللغوي للآية بذِكْرِ الفعل المضارع، ثم يتحول عنه إلى ذِكْرِ الماضي، وذلك كقوله تعالى: ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤]؛ فقرينة (الفاء) تمنع من ترتب الماضي (ظلت) على المستقبل (ننزل)؛ ومن ثم لا بد من تأويل أحد الفعلين، فيرى بعض العلماء أنَّ التحول الزمني في الفعل المضارع (ننزل)؛ فهو مُحَوَّلٌ عن الماضي (أنزلنا)؛ حكايةً للحال الماضية بصيغة المضارع؛ وفي ذلك استحضارٌ لصورة إنزال تلك الآية العظيمة، التي تستدعي خضوع الرقاب؛ فيعجب لها القارئ أو السامع[1]. ويرى آخرون أن التحول في الفعل الماضي المعطوف (ظلت)؛ فهو محول عن المضارع (تظل)؛ وفي ذلك إيذان بسرعة الانفعال والاستجابة لتلك الآية العظيمة، وكأنَّ نزولها وسرعة ما يترتب عليها كان واقعا من قبل. وكلا الرأيين تقبلهما الصنعة اللغوية، ويقتضيهما المعنى السياقي، ولكنَّ التعبير بصيغة الماضي (ظلت) وإسناد هذا الفعل إلى الأعناق، والإخبار عن الأعناق بخاضعين، يجعل الصورة مكتملة في ذهن السامع وأمام عيني القارئ؛ مما يوحي بتحقُّقِ هذا الحدث وتمام فعليته.

ولا ينبغي أنْ نغفل في هذا السياق عن الإخبار عن (الأعناق) بجمع مَنْ يعقل، على تغليب العاقل المذكر على غيره، فقال: (خاضعين)، ولم يقل: خاضعة، ولا خُضَّعا، ولا

---

[1] انظر: روح المعاني: ١٩/٦٠.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

خواضع، وفي ذلك العدول عدة توجيهات: أولها: أنَّ ذلك على حذف المضاف[1]، والمراد: أصحاب الأعناق، فَحَذَفَ الأصحاب وأقام الأعناق مقامهم، ورُوعِي هذا المحذوف في قوله: (خاضعين). ثانيها: أنَّ مِنْ عادة العرب تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر، وتأنيث المذكر إذا أضافوه إلى مؤنث[2]؛ فأخبر عن الأعناق بجمع مَنْ يعقل لإضافتها لمن يعقل. ثالثها: أنَّ المعنى: فظلوا لها خاضعين، وأُقحِمت الأعناق توكيدا[3]. رابعها: أنَّ الأعناق بمعنى الجماعات، كقولك: جاءني عُنُقٌ مِنَ الناس، أي جماعة[4]، أو بمعنى الرؤساء والكبراء، أي: فظلَّ كبراؤهم خاضعين. خامسها: أنَّه استغنى عن خبر الأعناق بخبر أصحابها؛ لأنَّ العرب قد تخبر عن المضاف إليه وتترك المضاف[5].

وكلها آراء وجيهة تقتضيها الصنعة اللغوية والمحافظة على مطابقة الصيغ للمعنى المراد، لكنني أرى – والله أعلم – أنه أخبر عن الأعناق بـ (خاضعين) لِتَلَبُّسِهَا بالخضوع، والخضوع صفة لِمَنْ يعقل، ولذلك أسند الفعل (ظلت) إلى الأعناق لا إلى أصحابها؛ لأنَّ الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون، وهذا من التوسع في المعنى؛ لأنه أتى بالمَعْنَيَيْنِ – خضوع الأعناق وخضوع أصحابها – في تعبيرٍ واحدٍ، والحكمة مِنْ ذلك أَظْهَر لأَنَّهُ أَثْبَتَ الخضوع للأعناق خضوعًا حقيقيًّا دون تأويلٍ أو حملٍ على معنى مِنَ المعاني، وفي ذلك إمعان في المذلة والخضوع لآيات الله – عزَّ وجلَّ –، فضلًا عن أنَّ صيغة الجمع المعدول إليها هي الملائمة لِنَسَق الآيات؛ إذ جاءت متوافقة مع ما قبلها (مؤمنين) وما بعدها (معرضين)؛ وبذلك يكتمل المعنى الذي يأخذ سبيله إلى النفس.

---

(1) انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م، ١٩٨/٤، ١٩٩.

(2) انظر: روح المعاني: ٦٠/١٩.

(3) انظر: المقتضب : ١٩٩/٤.

(4) انظر: ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت)، ٢٤١/١.

(5) انظر: الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دت)، ٣٦١/٣.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

خامسا: التعبير عن الحدث الماضي بالفعل المضارع

وذلك في حكاية الحال الماضية، أي حكاية حدثٍ كان في الزمن الماضي، والتعبير عنه بلفظ المضارع؛ لاستحضار ذلك الحدث أمام القارئ، وتصويره له كأنه واقعٌ يعاينه. قال سيبويه: " وقد تقع نَفْعَلُ في موضع فَعَلْنَا في بعض المواضع "[1]. وذَكَرَ الفراء أنَّه لا بأس أنْ تَرُدَّ (يَفْعَلُ) على (فَعَلَ)[2]، وقال ابن السراج: " ... فأنت تقول: ما تأتيني إلا قلتَ حسنًا، وما تحدِّثُنِي إلا صَدَقْتَ، فمِنْ أين وقع الماضي بعد إلا والذي قبله مضارع؟ قيل: فالمضارع الذي قبله في معنى الماضي، لأنه حكاية الحال، ألا ترى أنَّ معناه: كلما حدثتني صدقتني "[3]. وهكذا يفعل العرب بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية[4]، وقد وضح التهانوي علة هذا الأسلوب العربي البديع (حكاية الحال) قائلا: " اعلم أنَّ العدول من الماضي إلى المضارع لإفادة استحضار صورة ما مضى؛ لأنَّ المضارع مما يدلُّ على الحال الذي من شأنه أنْ يُشَاهَدَ، فكأنه تستحضر بلفظ المضارع تلك الصورة الماضية العجيبة ليشاهدها الحاضرون، ولا يفعل ذلك إلا في أمرٍ يهتم بمشاهدته لغرابة أو فظاعة أو تنبيه أو تحسين أو تقبيح أو تهويل أو تعظيم أو إهانة أو غيرها "[5].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩١]، فالقرينة اللفظية في الآية ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ دلَّت دلالة قاطعة على أنَّ زمن القتل ماضٍ، لكنْ عُبِّرَ عنه بصيغة المضارع لاستحضار ذلك الحدث الشنيع أمام أعين اليهود المعاصرين للنبي(ﷺ)، على رغم أنَّ مَنْ قام بالقتل هم أسلافهم، لكنْ لِعِلْمِ الله – سبحانه – بحال المخاطَبين مِن اليهود، وبأنهم رضوا بفعل أسلافهم مع الأنبياء أُسْنِدَ فعلُ القتلِ إليهم نسبةً لهم؛ فجاء خطابُ الله – تعالى – للذين أدركوا رسوله (ﷺ) مِن يهود بني إسرائيل بما

---

(1) الكتاب: ٢٤/٣.

(2) انظر: معاني القرآن: ٢٢١/٢.

(3) الأصول في النحو: ٢٩٩/١، وانظر: السيوطي، العلامة جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دت)، ٢١٠/١.

(4) انظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٤١٨هـ=١٩٩٨م، ١٤٢/٥.

(5) التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط١/١٩٩٦م، ص٦٩٢.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

سلف مِن كفران أسلافهم نعمه، وارتكابهم معاصيه، واجترائهم على أنبيائه[1]، فضلا عن أنَّ التعبير بالفعل المضارع يدلُّ على أنَّ محاولات القتل لم تنته بعدُ؛ لأنَّ اليهود ما زالوا يحاولون قتل النبي (ﷺ)، لولا أنْ عَصَمَهُ الله – سبحانه – وأَنْجَاهُ مِنَ السِّحْرِ والسمِّ المدسوس له في الشاة. وتأمل كذلك إضافة كلمة (الأنبياء) إلى الله – عزَّ وجلَّ – وما توحي به هذه الإضافة من تشريف وتعظيم لأنبيائه؛ إذ كان ينبغي أنْ يُعَظَّموا من أقوامهم، لا أنْ يُقتَّلوا، وما توحي به أيضا من تقريع وتوبيخ لأولئك اليهود. ومثل ذلك يقال في قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة:٨٧]، وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة:٧٠]؛ إذ كان النسق اللغوي يقتضي أنْ يكون في آية البقرة: (ففريقا كذبتم وفريقا قتلتم، أو ففريقا تكذبون وفريقا تقتلون)، وفي آية المائدة: (فريقا كذبوا وفريقا قتلوا، أو فريقا يكذبون وفريقا يقتلون)، وذلك بحكم قانون العطف الذي يتطلب تماثل الصيغ المعطوفة، لكنَّ السياق الدلالي، وكذلك المعنى التداولي يأبى إلا أنْ يكون التعبير كما كان.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر:٩]، فقد تحوَّل النسق اللغوي عن التعبير بالفعل الماضي (أرسل) إلى الفعل المضارع (تثير)؛ حكايةً للحال التي تقع فيها إثارة الرياح للسحاب، واستحضارًا لتلك الصورة البديعة، الدالة على القدرة الظاهرة، والحكمة الباهرة؛ " إذ تبدو في الأول كأنها قِطَعُ قطنٍ مندوفٍ، ثم تتضامُّ متقلبةً بين أطوارٍ حتى يَعُدْنَ رُكامًا "[2]، ولمَّا كان سَوْقُ السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها من الدلائل على كمال القدرة الإلهية الباهرة، الْتَفَتَ الخطاب في الفعلين (سقناه، وأحيينا) عن لفظ الغيبة إلى ما هو أَدْخَلُ في الاختصاص، وأدلُّ عليه[3]. وهكذا يتحول الخطاب القرآني، فضلا عن التحول الزمني اعتمادًا على فطنة القارئ أو السامع؛ لخدمة المعنى.

---

(1) انظر: تفسير الطبري: ٢٥٩/٢.

(2) القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م، ص٨٤.

(3) انظر: الكشاف: ١٤٣/٥.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني: التحول الزمني بين الفعل واسم الفاعل

قال ابن الحاجب في تعريف اسم الفاعل هو: " ما اشتُقَّ من فعلٍ لمن قام به بمعنى الحدوث "[١]. ولعلَّ قوله: " بمعنى الحدوث " هو لِمَا يتضمنه اسم الفاعل من دلالة زمنية في نطاق التركيب. وقد ذكر سيبويه أنَّ الأكثر مما يجري من الأسماء مجرى الفعل هو اسم الفاعل؛ وذلك لِمَا يحمله من سمات فعلية داخل التركيب، قائلًا: " فأما الأصل الأكثر الذي جرى مجرى الفعل من الأسماء ففاعل ... لأنَّ الاسم على فَعَلَ يَفْعَلُ فَاعِلٌ "[٢].

وقد عبَّر الكوفيون عن اسم الفاعل بالفعل في أكثر من موضع، وكان الفراء يعد اسم الفاعل الذي يعمل عمل فعله فعلا؛ لأنه يختلف عن (فاعل) غير العامل[٣]، وهذا ما تبنَّاهُ بعض المعاصرين؛ إذ يرى الدكتور إبراهيم السامرائي أنه ينبغي أنْ تُعدَّ أبنية " فاعل "، و" مفعول "، والمصدر من مادة الأفعال؛ لأنها تدلُّ على أحداث، ثم تتصرف إلى زمن محدد يُستدلُّ عليه بالقرائن، كالأفعال التي لا يستدل بصيغتها على أزمنتها[٤].

ومما سبق يتضح أنَّ اسم الفاعل يشترك مع الفعل في الدلالة على الحدث، إلا أنَّ مفهوم الحدث يختلف في كلٍّ واحدٍ منهما عن الآخر؛ فالفعل حدثه تجدديٌّ لارتباطه بالزمن، وأما اسم الفاعل فَحَدَثُهُ وصفيٌّ لأنَّه في الأصل صفة للفاعل، وقد يَحمل هذا الحدث الوصفي دلالة زمنية بوجود القرائن. ولهذا يرى بعض المعاصرين أنَّ اسم الفاعل يقع وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة؛ فالفعل يدلُّ على التجدد والحدوث، أما اسم الفاعل فهو أَدْوَمُ وأَثْبَتُ من الفعل، غير أنَّه لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فكلمة " قائم " أدلُّ على الدوام والثبوت من " قام " أو " يقوم "، ولكنَّ دوامها وثبوتها ليس كثبوت " طويل " أو " قصير "[٥].

وقد ورد في مجالس العلماء على لسان الكسائي ما يؤكد مجيء اسم الفاعل دالا على المضي والاستقبال، فقد سأل الكسائيُّ أبا يوسف القاضي عند هارون الرشيد: " ما تقول في

---

(١) الرضي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢/١٩٩٦م، ٤١٣/٣.
(٢) الكتاب: ١١٧/١.
(٣) انظر: معاني القرآن: ١٦٥/١، و٨١/٢.
(٤) انظر: الفعل زمانه وأبنيته: ٣٤.
(٥) انظر: معاني الأبنية في العربية: ٤١.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

رجلٍ قال لرجلٍ: أنا قاتلُ غلامِكَ، وقال له آخر: أنا قاتلٌ غلامَكَ، أيهما كنتَ تأخذ به؟ قال: آخذهما جميعًا، فقال هارون: أخطأتَ، وكان له علمٌ بالعربية، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يُؤخَذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتلُ غلامِكَ بالإضافة؛ لأنه فعلٌ ماضٍ، وأما الذي قال: أنا قاتلٌ غُلامَكَ بالنصب فلا يؤخذ؛ لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله – عزَّ وجلَّ –: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ [الكهف:٢٣]، فلولا أنَّ التنوين مستقبل ما جاز فيه غدًا "[١]؛ وذلك لأنَّ التنوين يهيئ اسم الفاعل للدلالة على المستقبل، أما الإضافة فهي تخلص اسم الفاعل للدلالة على المضي؛ ومن ثم تكون قرينة مانعة للحال أو الاستقبال.

وأكثر ما تستعمل العرب من اسم الفاعل هو المنون؛ قال الفراء – في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥] –: " ولو نوَّنْتَ في (ذائقة) ونصبتَ (الموت) كان صوابًا. وأكثر ما تختار العرب التنوينَ والنصبَ في المستقبل. فإذا كان معناه ماضيًا لم يكادوا يقولون إلا بالإضافة. فأما المستقبل فقولك: أنا صائمٌ يومَ الخميسِ إذا كان خميسًا مستقبلا. فإن أخبرتَ عن صوم يوم خميسٍ ماضٍ قلتَ: أنا صائمُ يومِ الخميس. فهذا وجه العمل "[٢]. وقد تعددت أنساق التحول الزمني بين الفعل واسم الفاعل في القرآن الكريم على النحو الآتي:

أولًا: التعبير باسم الفاعل عن الزمن الماضي

وذلك نحو وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام:١٠٢]، فجاء التعبير باسم الفاعل (خالق) متضمنا الدلالة الزمنية الماضوية في هذا السياق؛ حسبما تقتضيه الإشارة (ذلكم) في أول الآية، وهي إشارةٌ

---

[١] الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٣م، ١٧٤١/٤.
[٢] معاني القرآن: ٢٠٢/٢.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

إلى الله – عزَّ وجلَّ – المنعوت بما ذُكِرَ من جلائل النعوت[1] في الآية السابقة: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقد آثر التعبير صيغة اسم الفاعل (خالق) بدلًا من صيغة الفعل الماضي (خلق)؛ لِمَا في الاسم من معنى الثبوت والدوام، بخلاف الفعل الماضي، وقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين الإثبات بالاسم وبينه إذا كان بالفعل فقال: " وبيانه على أنَّ موضوع الاسم على أنْ يثبت به المعنى للشيء من غير أنْ يقتضي تجدده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئًا بعد شيءٍ. فإذا قلت: " زيد منطلق "، فقد أثبت الانطلاق فعلا له، من غير أنْ تجعله يتجدد ويحدث منه شيئًا فشيئًا...، وأما الفعل فإنه يُقصد فيه إلى ذلك. فإذا قلت: " زيد ها هو ذا ينطلق "، فقد زعمت أنَّ الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا، وجعلته يزاوله ويُزَجِّيه "[2].

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [إبراهيم:١٠]، فإنَّ مجرد الشك في وجود خالقٍ مدبِّرٍ لهذا الكون العظيم أمرٌ مستقبحٌ، وقد استنكره الرسل على أولئك المشركين الذين قالوا في الآية السابقة: ﴿ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [إبراهيم:٩]، وبعد هذا الاستنكار يأتي الاستدلال على وجود الخالق – سبحانه – بما في هذا الكون العظيم؛ فإن السماء والأرض لتشهدان بالفطرة على أنَّ خالقهما ومبدعهما هو الله – تعالى –، ويأتي السياق اللغوي مُؤْثِرًا التعبير بصيغة اسم الفاعل (فاطر) بدلا من التعبير بصيغة الفعل الماضي (فطر)؛ إذ إنَّ ما يوحي به اسم الفاعل هنا من الدلالة على ثبوت المعنى لا يمكن أنْ يقوم به غيره من الصيغ الفعلية، **ثم تتحول الدلالة الزمنية في**

---

(1) انظر: روح المعاني: ٢٤٣/٧.

(2) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/٢٠٠٤م، ص١٧٤.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

السياق ذاته، بالعدول عن التعبير باسم الفاعل إلى التعبير بصيغة الفعل المضارع (يدعوكم)، ولم يقل: (داعيكم)؛ إذ إنه لمَّا أثبت الْخَلْقَ للخالق وحْدَهُ، وأكَّد ذلك بما يهدم شكَّ أولئك المشركين، عدل عن ذلك إلى ترغيبهم في التوبة بصيغة الفعل المضارع الدالة على الاستمرار التجددي؛ فالدعوة مستمرة من الله – سبحانه – لأولئك الغافلين الشاكِّين في أنْ يعودوا إلى رشدهم، ويتدبروا آيات ربهم؛ لعلَّ رحمته بهم تسبق عذابه لهم.

وفي مقابل ما سبق قد **تتحول الدلالة الزمنية من التعبير بصيغة الماضي إلى التعبير بصيغة اسم الفاعل**، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٣]، فأغلب المفسرين على أنَّ الخطاب هنا للمشركين[١]، بالعطف على جملة الصلة في قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١]؛ وذلك على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؛ لأنَّ الخطاب أوقع في الدمغ بالحجة[٢]، ولا يخفى ما يحمله هذا الخطاب من تَهَكُّمٍ وسُخريةٍ؛ فقد جاء الكلام مخاطِبًا اعتقاد أولئك المشركين؛ وذلك حينما اعتقدوا أنَّ الأصنام التي يعبدونها تضرُّ وتنفعُ، فجاء مُجْرِيًا ما لا يعقل مجرى مَنْ يعقل، فقال: ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾، على سبيل التهكم مِنْ أصحاب العقول، الذين لم يتدبروا أو يتفكروا، بل أَلِفُوا ذلك السخف والضلال. ويزداد البعد التداولي وضوحا في الآيات السابقة من خلال التحول الزمني من صيغة الماضي ﴿ أَدَعَوْتُمُوهُمْ ﴾ إلى صيغة اسم الفاعل في الجملة الاسمية ﴿ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾، وكان القياس يقتضي أن يُعطف بالفعل بعد (أم)، بأنْ يكون: " سواءٌ عليكم أدعوتموهم أم صَمَتُّمْ "، وقد وقف الزمخشري على هذا المعنى قائلا: " فإنْ قلتَ: هلَّا قيل: أم صَمَتُّمْ؟ ولِمَ وُضِعَت الجملة الاسمية موضع الفعلية؟ قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمرٌ، دعوا الله دون أصنامهم؛ كقوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ ﴾ [الروم:٣٣]، فكانت حالهم المستمرة أنْ يكونوا

---

[١] انظر: الكشاف: ٥٤٣/٢.

[٢] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (دت)، ٢١٨/٩.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

صامتين عن دعوتهم، فقيل: إنْ دعوتموهم، لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم، وبين ما أنتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم "[1].

وفضلا عما سبق، فإنَّ التعبير باسم الفاعل في نطاق الجملة الاسمية يدل على ثبوت الوصف، وتلبُّسِ أولئك المشركين الصمتَ، كتلَبُّسِ الأصنام له؛ فحال المشركين في صمتهم عن دعاء أصنامهم كحال الأصنام في صمتها عن إجابتهم إذا دعوها؛ وفي هذا مزيد من التبكيت والتوبيخ.

ثانيًا: التعبير باسم الفاعل عن الزمن الحالي

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ [المدثر:٤٩]، الضمير في (لهم) عائدٌ على المجرمين الذين سلكوا في سقر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ [المدثر:٣٨-٤٢]، وكلمة " معرضين " منصوبة على الحال، كقول العرب: ما لك قائمًا؟[2]، ومثله قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ [يوسف:١١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [الحديد:٨]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الانشقاق:٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح:١٣]، والمعنى في الآية: ما لهم يعرضون عن التذكرة؟ وهو استفهام في اللفظ، لكنه إنكارٌ في المعنى لحالهم وتعجُّبٌ منها، تلك الحال التي ثبتوا عليها، ولم يتزحزحوا عنها؛ وذلك بعد أنْ تهيأت لهم سبل الهداية ولم يكن لديهم ما يمنع إيمانهم ألبتة، غير أنهم انقادوا للكِبْرِ والبَطَرِ الذي وقَرَ في قلوبهم، ولمَّا علِمَ الله – سبحانه – ما في قلوب أولئك المجرمين، وعَلِمَ حقيقة تولِّيَهم عن الذكر الحكيم، خاطبهم بما يؤكد ثبوت إعراضهم ونفورهم، وإصرارهم وعنادهم في البقاء على الباطل؛ فجاء التعبير بصيغة اسم الفاعل (معرضين) في سياق الزمن الحالي؛ وجُعِلُوا في إعراضهم كالْحُمُرِ المُسْتَنْفِرَة، التي تطلب النِّفَار من نفوسها في احتشادها عليه وتَهَيُّئِهَا له، وفي ذلك من المذمة والتهجين لحالهم ما لا مزيد عليه.

---

(1) الكشاف: ٥٤٣/٢.

(2) انظر: السابق: ٢٦٣/٦.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقد تتحول الدلالة الزمنية من التعبير بالفعل المضارع إلى التعبير باسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]، هذا وصفٌ للمتقين الذين أعدَّ الله لهم جنة عرضها السماوات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وكان النسق اللغوي يقتضي أنْ يكون التعبير: الذين ينفقون – ويكظمون – ويعفون، أو: المنفقين – والكاظمين – والعافين؛ وذلك بحكم قانون العطف الذي يقتضي تماثل الصيغ المعطوفة، ولكنْ لاكتمال الوصف واحتباكه يأتي التعبير بصيغة المضارع مع الإنفاق، وبصيغة اسم الفاعل مع كَظْمِ الغيظ والعفو عن الناس؛ فصفة الإنفاق حدثٌ ينبغي أنْ يتجدد ويستمر في حياة الناس في الحالين: السراء، والضراء، أي في عُسْرهم ويُسْرهم؛ فاليسر يوجب كثرة الإنفاق، والعسر لا يمنع من المعروف شيئًا ولو قلَّ؛ ولهذا كان التعبير عنه بصيغة المضارع التي تملك القدرة العالية على تصوير الحدث، ونَقْلِهِ للمتلقي وكأنه يسمعه أو يشاهده، أما الكظم والعفو فليسا من الأحداث التي ينبغي أنْ تتجدد؛ بل هما من الأحداث التي ينبغي أنْ تتجمد؛ إذ إنَّ ما يوجب كظم الغيظ والعفو عن الناس لَأمرٌ جَلَلٌ يجعل القلب مملوءًا بالحَنَقِ والرغبة في الانتقام، ويجعل النَّفْسَ في حالةٍ من الفَوَرَانِ والغَلَيَانِ الدائم، وكلُّ هذا لا يُجدي معه التعبير بالفعل المضارع الذي يدلُّ على وقوع الحدث جزءًا فجزءًا، بخلاف اسم الفاعل الذي يفيد الاتصاف بالكظم والعفو اتصافًا ثابتًا راسخًا قويًّا، لا مَحِيد عنه ولا مَفر منه، حتى يكون سجية في الموصوف، ويكون الموصوف قادرا على مواجهة ما بداخله، وكبح جماح رغبته في الانتقام، وهذا ندبٌ إلى وجوب التحلي بهذين الوصفين وعدم التخلي عنهما؛ ولهذا كان التعبير باسم الفاعل عن الكظم والعفو في هذا السياق ملائما أتمَّ الملاءمة.

ثالثًا: التعبير باسم الفاعل عن المستقبل

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، أي: سأجعل، لكنَّ التعبير عن الجعل بالاسم غير التعبير عنه بالفعل. ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]، فأثر التعبير القرآني اسم الفاعل (جامع) على الفعل المضارع (سيجمع)، على رغم أنَّ زمن الجمع هو المستقبل، والقرينة لفظية وهي قوله: ﴿ فِي جَهَنَّمَ ﴾؛ وفي هذا تحذيرٌ من مجالسة مَنْ يكفر بآيات الله ويستهزئ بها، وفي الوقت ذاته تهديدٌ ووعيدٌ لمن ارتضى ذلك بالصيغة الثابتة التي لا تحتمل أخذًا ولا ردًّا، فالجمع واقعٌ لا محالة، وثابتٌ ومستقرٌّ في جهنمَ لمَنْ كان مِنَ المنافقين والكافرين. ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴾ [ص:٧١]، فالمعنى: إني خالقٌ في ما سيأتي، والقرينة الدالة على ذلك لفظية في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص:٧٢]، لكنَّ النسق اللغوي آثر التعبير باسم الفاعل (خالق) بدلا من الفعل المضارع؛ لأنَّ في التعبير باسم الفاعل ما ليس في التعبير بصيغة المضارع من الدلالة على أنَّ الله – سبحانه – خالقٌ لا محالة عن ذلك، ولا شك في حدوثه.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث: التحول الزمني بين الفعل والمصدر

عُرِّف المصدر بأنه: " اسم الحدث الجاري على الفعل "[١]، ومعنى أنَّ المصدر يجري على الفعل، أي توافق حروفُهُ حروفَ فِعْلِه، دون أنْ يدلَّ على مَنْ قام به، أو مَنْ وقع عليه، أو الزمن المحدد لوقوعه أو مكانه، ومع ذلك لا يخلو المصدر مِنْ إشرابه معنى الزمن، وتضمينه دلالة زمنية معينة تحددها القرائن في السياق؛ فالمصدر يدلُّ على الزمن المطلق أو المجهول، كما قال ابن جني: " اعلم أنَّ المصدر كل اسم دلَّ على حدثٍ، وزمانٍ مجهولٍ "[٢]. وقد أكَّد ابن يعيش دلالة المصدر على الزمن قائلا: " المصدر يدلُّ على زمان؛ إذ الحدث لا يكون إلا في زمان، لكن زمانه غير متعين كما كان في الفعل "[٣]. ولكنَّ دلالة المصدر على الزمن ليست كدلالة الفعل عليه؛ فالمصدر تُعقل حقيقته بدون الزمن؛ ولهذا يُعدُّ الزمن من لوازم المصدر وليس من مقوماته، بخلاف الفعل الذي وُضِع دليلا على الحدث المقترن بالزمن[٤]. وقد بيَّن ابن عقيل الدلالة الزمنية الكامنة في المصدر بأنه يدلُّ على المضي أو الاستقبال إذا قُدِّرَ بـ" أنْ " والفعل، نحو: " عجبتُ من ضَرْبِكَ زيدًا أمسِ، أو غدًا "، والتقدير: من أنْ ضربتَ زيدًا أمس، أو من أنْ تضربَ زيدًا غدًا، وأما أذا أريدَ الحال به فإنه يُقَدَّرُ بـ" ما " والفعل، نحو: " عجبتُ من ضربِكَ زيدًا الآن "، والتقدير: مما تضربُ زيدًا الآن[٥]. وهذا ما دفع كثيرا من المعاصرين إلى أنْ يأخذوا على الأقدمين أنهم لم يلحَقوا مادة المصدر بالفعل[٦]. وقد تعددت أنساق التحول الزمني بين الفعل والمصدر على النحو الآتي:

---

(١) شرح الرضي على الكافية: ٣٩٩/٣.

(٢) ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، تحقيق: د. سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٨٨م، ص٤٤.

(٣) ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، إدراة الطباعة المنيرية، مصر، (دت)، ٢/٧.

(٤) انظر: السابق: نفسه.

(٥) انظر: ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م، ٧٧/٣.

(٦) انظر: الفعل زمانه وأبنيته: ٤٧، والزمن واللغة: ٤٢،٤١.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

أولًا: التعبير بالمصدر عن الزمن الماضي

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٠،١٦١]، فالتعبير بهذه المصادر المعطوفة (فبظلم – وبصدهم – وأخذهم – وأكلهم) جاء في سياق الماضي، وهو التذكير بما عاقب به الله – سبحانه – اليهود؛ فما حرَّم الله عليهم الطيبات التي أحلها لهم من قبل إلا بأنْ ظلموا، وصدوا عباد الله عن دينه، واستحلوا الربا، وأكلوا أموال الناس بالباطل. وقد جاء النسق اللغوي مؤثرا التعبير بصيغة المصدر عن التعبير بصيغة الفعل الماضي؛ لأنَّ الفعل يدلُّ على الحدث مقترنا بالزمن، فأما دلالته على الحدث فهي لم تكن كدلالة المصدر عليه؛ إذ من شأن المصدر أنْ يدل على الحدث المطلق، وهو ما لم يكن للفعل، وأما الزمن فقد تكفَّل السياق به مع القرائن اللفظية مثل: (حرمنا – أُحِلَّت – نُهُوا – أعتدنا)؛ وبهذا استُغْنِيَ عن صيغة الفعل الماضي، وأُوثِرَ التعبير بالمصدر؛ لأنَّ المصدر هنا يومئ إلى أنَّ هذه الأحداث (الظلم، والصد، والأخذ، والأكل) لم تقع من أصحابها مرة أو مرتين، وإنما لكثرة اعتيادهم عليها حتى لم يكن لهم حال غيرها، صاروا كأنهم قد تجسَّموها، فلا يُعرفون إلا بها، ولا تُعرَفُ هذه الأحداث إلا بهم؛ فإذا ما ذُكِرُوا ذُكِرَتْ، وإذا ما ذُكِرَتْ ذُكِرُوا، وهو ما لم يكن يدركه المتلقي لو كان التعبير بالفعل الماضي.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا ﴾ [التوبة:١١٤]، فجاء المصدر(استغفار) في سياق التذكير بحدث ماض ومنقطع بقرينة (كان)؛ وهو تذكير النبي (ﷺ) بأنه لا ينبغي أنْ يستغفر للمشركين، ولو كان أولئك المشركون أولي قربى، كما في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة:١١٣]، أما ما كان من استغفار إبراهيم لأبيه فهو لم يكن إلا عن موعدة وعدها إياه.

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الكهف:٥١]، فقد تضمن المصدر (خلق) الدلالة الزمنية الماضوية؛ بقرينة الإضافة، والفعل الماضي (أشهدتهم).

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

وقد تتحول الدلالة الزمنية من خلال التحول عن التعبير بالمصدر إلى التعبير بالفعل الماضي، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد:٧،٨]، فقد تحول النسق اللغوي من التعبير بالمصدر (تعسًا) إلى التعبير بالفعل الماضي (أضلَّ)، وكان يقتضي اتحاد نوع المعطوفين؛ فيكون: فتعسا لهم وإضلالا لأعمالهم، أو: فأتعسهم وأضل أعمالهم، وهذا ما تتطلبه الصنعة اللغوية، ولكنَّ الحكمة الدلالية والتداولية تقتضي ما كان؛ فقوله: (تعسا) من المصادر التي يراد بها الدعاء، وهي كثيرة كقولهم: سَقْيًا لك، أي سقاك الله، وكذا قولهم: سُحقًا، وبُعدًا، وتبًّا[1]، وقيل في المراد من هذا المصدر (تعسًا) عشرة أقوال: بُعدًا لهم، خِزْيًا لهم، شقاءً لهم، شَتْمًا لهم، هلاكًا لهم، خَيْبَةً لهم، قُبْحًا لهم، رغمًا لهم، شرًّا لهم، شقوةً لهم[2]؛ والمعنى في هذا كله على الدعاء، " كأنه قال: فأتعسهم الله وأضل أعمالهم؛ لأنَّ الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي، ألا ترى أنَّ أضلَّ فِعْلٌ، وأنها مردودة على التعس، وهو اسم لأنَّ فيه معنى أتعسهم "[3]. والسؤال هنا: لمَ جاء التعبير بالمصدر أولا ثم تحول إلى الفعل الماضي؟ والجواب: هو أنَّ الزمن الذي يحمله المصدر ويدلُّ عليه في هذا السياق غير معلوم، فهو زمن مطلقٌ، والدعاء على أولئك الكافرين بالتعاسة على سبيل الإطلاق؛ حتى يشملهم في الدنيا والآخرة، ولما أكد الخطاب القرآني هذا المعنى بالمصدر انتقل إلى الفعل الماضي (أضل)، وهو انتقال من العام إلى الخاص؛ لمخاطبتهم على حسب معتقدهم، فقد كانوا يرجون النفع من أعمالهم في الدنيا لا في الآخرة؛ إذ لم يؤمنوا بها ولا بحسابها وعذابها؛ فَحَكَمَ الله – سبحانه – ببطلان أعمالهم وضياعها حُكْمًا قاطعًا لا يحتمل الشك فيه؛ لئلا يُظن أنها قد تُخَفِّفُ عنهم من العذاب شيئا. وهذه التعاسة التي قضى الله بها على الكافرين هي المقابل للنصر والتثبيت الذي وعد به المؤمنين؛ فبعد أنْ أكَّد الخطاب القرآني

---

(١) انظر: هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/١٤٢١هـ=٢٠٠١م، ص٧٧.

(٢) انظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م، ١٩/٢٥٤.

(٣) معاني القرآن: ٣/٥٨.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

نصر الله للمؤمنين وتثبيته لهم بجُمَلٍ يحفها الهدوء والطمأنينة، انتقل إلى الكافرين بعنف المصدر وقوته في التعبير؛ ليبشرهم باللعنة والشقاء والخيبة والخذلان.

وفي مقابل ما سبق **تتحول الدلالة الزمنية بالتحول عن التعبير بصيغة الماضي إلى التعبير بصيغة المصدر**، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [الصافات:٦،٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ﴾ [فصلت:١٢]، فقد عُطِف المصدر (حِفْظًا) على الفعل الماضي (زَيَّنَّا) في الآيتين، وخصَّ السماء الدنيا لأنها هي التي تُشاهَدُ بالأبصار؛ ومن ثم فهي موطن الإبداع والإعجاز، وجاء التزيين بصيغة الفعل؛ ليكسب الصورة حيوية وجمالا؛ إذ تأسر العقل بجمالها وجلال خالقها وعظمته في أنْ جعل هذه النجوم زينة للسماء واهتداء للناس، ثم يتحول التعبير عن هذا المعنى بصيغة الماضي، إلى التعبير عن حفظ السماء بصيغة المصدر، والمصدر كما سبق وإن كان مُشْرَبًا معنى الزمن بالقرائن الدالة عليه إلا أنَّ دلالته على الحدث أقوى من دلالة الفعل عليه؛ ولما كانت محاولات الشياطين متكررة في استراق السمع جاء التعبير عن حفظ السماء من هذه المحاولات بالمصدر الدالِّ على دوام الحفظ ولزومه، وقد عبَّر القرآن الكريم عن تلك المحاولات في أكثر من موضع؛ فجاء في قوله تعالى: ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ [الحجر:١٧،١٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ [الصافت:٧،٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ [الجن:٩]؛ ومن ثمَّ جاء التعبير بالمصدر وكأنه حائط الصد لهذه المحاولات المتكررة.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا: التعبير بالمصدر عن الزمن الحالي

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾ [الكهف:٩٤]، فجاء بالمصدر (خَرْجًا) دالا على الزمن الحالي، فالكلام حاليٌّ، وهو موجَّهٌ لِذِي القرنين أنْ يجعلوا له خَرْجًا، على أنْ يجعل سدًّا بينهم وبين يأجوج ومأجوج، وقيل في الخَرْج: هو مصدرٌ أُطلِق على الخراج، والخراج الاسم لما يخرج[١]. وغيره كثير.

وقد تتحول الدلالة الزمنية من خلال التحول عن التعبير بالمصدر إلى التعبير بالفعل المضارع، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس:٦٧]، وكان النسق اللغوي يقتضي أنْ يكون التعبير: فما استطاعوا مضيًّا ولا رجوعًا، أو أنْ يكون: فما استطاعوا أنْ يمضوا ولا أنْ يرجعوا؛ ولهذا قال الآلوسي في الفعل (يرجعون): " هو من باب: تسمع بالمعيدي خيرٌ مِن أنْ تراه "[٢]. واقتصر بعض العلماء في هذا التحول أو العدول على القول بأنه لرعاية فواصل الآيات[٣]، وكان بعضهم أكثر عمقا؛ فوقفوا على دلالة تقديم المضي على الرجوع، وجعلوا ذلك " لأنَّ الرجوع أهون من المضي، لأنَّ المضي لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل، وأما الرجوع فينبئ عنه، ولا شك أنَّ سلوك طريق قد رُئي مرة أهون من سلوك طريق لم يُر؛ فقال:(لا يستطيعون مضيا) ولا أقل من ذلك، وهو الرجوع الذي أهون من المضي "[٤]. ومع هذه الدقة في التحليل لعلمائنا الأوائل، لم أجد مَنْ وقف على دلالة التعبير عن المضي بالمصدر وعن الرجوع بالفعل المضارع، ولعلَّ في وقوفنا على سياق الآيات مزيدا من الفائدة؛ فالسياق تهديد ووعيد للكافرين وهم يستبقون الصراط؛ فلو أراد الله إعماءهم لَفَعَلَ، ولو أراد مسخهم لما قدروا على التقدم أو التأخر، وجاء التعبير عن التقدم والمضي بالمصدر – وهو كما سبق أقوى في الدلالة على الحدث من الفعل – لأنَّ المضي يكون الإنسان معه في أوفر نشاطه، فيتهيأ له، ويحتشد عليه، وأما الرجوع فتخمد معه الهمة، ويفتر النشاط، وتضيق الخطا، حتى إذا ما رفع

---

[١] انظر: روح المعاني: ٣٩/١٦.
[٢] انظر: السابق: ٤٦/٢٣.
[٣] انظر: السابق: نفسه.
[٤] الرازي، الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١/١٤٠١هـ=١٩٨١م، ١٠٣/٢٦.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

قدما لا يكاد يرفع الأخرى؛ فيبدو الرجوع مع ذلك وكأنه يحدث شيئا فشيئا؛ ولهذا ناسب التعبير عنه بالفعل المضارع وعن المضي بالمصدر.

وفي مقابل ما سبق **تتحول الدلالة الزمنية من خلال التحول عن التعبير بالفعل المضارع إلى التعبير بالمصدر**، كقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف:٢]، وكان النسق اللغوي يقتضي أنْ يكون التعبير: لتنذر به وتذكر، أو: إنذارًا به وذكرى. ولإدراك دلالة التحول من الفعل المضارع إلى المصدر هنا لا بد من الوقوف على معناهما المعجمي، قال ابن منظور: " ... وَأَنْذَرَهُ بِالْأَمْرِ إِنْذَارًا وَنُذُرًا: أَعْلَمَهُ ... وَأَنْذَرَهُ أَيْضًا: خَوَّفَهُ وَحَذَّرَهُ ... وَالْإِنْذَارُ: الْإِبْلَاغُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي التَّخْوِيفِ "[1]. وقال: " والذِّكْرُ والذِّكْرَى، بِالْكَسْرِ: نَقِيضُ النِّسْيَانِ ... وَالتَّذَكُّرُ: تَذَكُّرُ مَا أُنْسِيتَهُ. وَذَكَرْتُ الشَّيْءَ بَعْدَ النِّسْيَانِ وَذَكَرْتُهُ بِلِسَانِي وَقَلْبِي، وَتَذَكَّرْتُهُ، وَأَذْكَرْتُهُ غَيْرِيَ وَذَكَّرْتُهُ بِمَعْنًى "[2]. ومن هذه الدلالات المعجمية يتبين لنا أنَّ الإنذار إعلامٌ مقترنٌ بالتهديد والتخويف من سوء العاقبة، أما التذكير فهو إعادة ذِكْرِ ما قد يُنْسَى، وسكت السياق عن المفعول الذي يقع عليه فعل الإنذار، إلا أنه أفصح عنه في مواضع أخرى، منها قوله تعالى: ﴿ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ [مريم:٩٧] ، وقوله تعالى: ﴿ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ [يس:٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [النبأ:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ [الليل:١٤]؛ وبهذا يتبين أن الإنذار خاص بالكفار؛ لأنهم هم الواقعون في ما أُنذروا به من النكال والعذاب[3]، ومن البلاغة أنْ يستمر الإنذار المصحوب بالتخويف والترهيب، ولا يكون ذلك إلا بصيغة الفعل المضارع التي تجعل صورة الإنذار حية حاضرة الأعين، وبعد تأكيد هذا المعنى تحول النسق اللغوي من صريح الدلالة الزمنية الحالية بالفعل المضارع مع الكافرين، إلى إشرابها بالمصدر مع المؤمنين؛ ليؤكد بالمصدر أنَّ القرآن الكريم هو عينُ الذكرى وسببٌ لها.

---

(١) لسان العرب: (ن ذ ر).
(٢) السابق: (ذ ك ر).
(٣) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (دت)، ٣٣٩/٢.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

ثالثًا: التعبير بالمصدر عن المستقبل

قد يُشربُ المصدر دلالة زمنية مستقبلية إذا توافرت القرائن الدالة على ذلك، نحو قوله تعالى: ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴾ [الكهف:٤١،٤٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف:٨٨]؛ فقد تضمنت المصادر (زَلَقًا – غَوْرًا – طَلَبًا – يُسْرًا) في الآيات السابقة زمن المستقبل، بقرينة الأفعال والحروف الدالة على ذلك (تصبح – يصبح – لن تستطيع – سنقول).

وقد تتحول الدلالة الزمنية بتحول التعبير عن المصدر الصريح إلى فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد:٤]، الخطاب هنا للمؤمنين؛ لحثهم على الحزم والشدة في محاربتهم للذين كفروا، وكان تقدير الكلام: فضربَ الرقابِ حتى إذا أثخنتموهم فشدَّ الوثاقِ، أو: فاضربوا الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق. لكن آثر الخطاب القرآني التعبير بالمصدر مع ضرب الرقاب، والمصدر – كما سبق – أدلُّ على الحدث من الفعل وألزمُ له منه، وإضافة المصدر إلى مفعوله هنا أكسبت العبارة من الغلظة والشدة ما لا يكون بغيرها؛ وذلك " لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن "[1]، كما أنَّ من شأن هذه الإضافة أنْ تسلط الضوء على الحدث المطلق مع من يقع عليه مجردًا من أمرين: الأول: وهو الفاعل؛ إذ إنه معلوم من بنية الخطاب، والثاني: وهو الزمن المحدد؛ فمن شأن المصدر أن يكون زمنه غير معلوم؛ وهذا يقتضي مبادرة الكفار بالقتال العنيف ومباغتتهم به في أول المعركة؛ إذ إنَّ المباغتة بالقتال جديرة بأنْ تضعف من قوى العدو، وتُخلخل صفوفهم، فضلا عما أحدثه التعبير بالمصدر من اختصار في بنية الكلام، وهذا الاختصار مُوَازٍ للاختصار الزمني الذي يدل عليه التعبير بالمصدر، ويُستنبط منه عنصر السرعة في إيقاع الحدث. وبهذا فإنَّ وَقْعَ المصدر بجَرْسِهِ ودلالته في هذا السياق لا يمكن أنْ يقوم به غيره. وبعد أنْ تحقق هذا المعنى بالمصدر، تحوَّل التعبير عنه إلى التعبير بفعل الأمر (فَشُدُّوا)؛ لأنَّ فعل الأمر يعطي الحدث فسحة زمنية في الوقوع

---

[1] الكشاف: ٥١٦/٥

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

والتحقق؛ فلم يعد عنصر السرعة في إيقاع الحدث أمرًا مُلِحًّا كما كان في فعل الضرب؛ لأنَّ أَمْرَ العدو الآن ليس كما كان من قبل؛ فقد كانوا متجبرين بقوتهم التي ظنوا أنها مانعتهم من المؤمنين، أما الآن فما زادهم إثخانهم إلا ذلا وانكسارا. كما أنَّ في التعبير بفعل الأمر ظهورًا للمسند إليه في ساحة المشهد، وهو الضمير العائد على المؤمنين؛ ليشعروا بغاية عِزِّهم في تمكنهم من رقاب أعدائهم.

المبحث الرابع: التحول الزمني بين المصدر الصريح والمصدر المؤول

سبق أنْ بينَّا أنَّ المصدر الصريح هو ما دلَّ على مطلق الحدث مع مطلق الزمن؛ إذ إنَّ زمانه مجهول، ومعنى ذلك أنَّ التعبير به يكون عند إرادة التكثيف على جانب الحدث مجردًا، ولعلَّ هذا هو ما جعل بعض العلماء يقولون إنَّ المصدر الصريح هو الأصل الذي يتحول عنه المصدر المؤول[1]. وأما المصدر المؤول فهو ما يمكن تأويله بالمصدر الصريح، ويتكون من أحد الحروف المصدرية والفعل؛ وبهذا يختلف التعبير بالمصدر الصريح عنه بالمصدر المؤول؛ فإذا كان المصدر الصريح يدل على مطلق الحدث، فإن المصدر المؤول يدل على الحدث وزمنه المعين وفاعله، وهذا ما أشار إليه السهيلي بقوله عنه: " ... فكأنهم إنما قصدوا إلى ماهية الحدث مخبرا به عن الفاعل لا الحدث مطلقا "[2].

وقد تمثل التحول الزمني بين المصدر الصريح والمصدر المؤول في ما يأتي:

أولا: التحول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، فقد جاءت البنية السطحية في الآية بعطف المصدرين المؤولين: (أنْ تشركوا)، (وأنْ تقولوا) على المصدرين الصريحين: (الإثم والبغي)، بعد تحويلات عن البنية العميقة التي يُفْتَرض أنْ يكون التعبير فيها: (الإثم والبغي... وإشراككم بالله ... وقولكم على الله)، أو (وأنْ تأثموا وأنْ تبغوا ... وأنْ تشركوا ... وأنْ تقولوا)؛ وذلك بحكم

---

(1) انظر: الجلدي، د. طه محمد، المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة، دار الثقافة العربية، القاهرة، (دت)، ص ٦٤، ٦٥.

(2) السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، ص٩٩.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

تماثل المعطوفات. وللوقوف على دلالات هذا التحول لا بد من الإشارة إلى أنَّ سياق الآية هو التأكيد على محاربة ما اعتاد عليه المشركون العرب في الجاهلية، فجاء التعبير عن تحريم الإثم والبغي بصيغة المصدر؛ وذلك لتسليط الضوء على الحدث ذاته على وجه عموم الزمن لا تحديده؛ فالإثم يشمل كلَّ معصية على وجه الإجمال، والبغي هو التعدي والاستطالة على الناس بالظلم والفساد، فجاء تحريمها على وجه العموم، دون تقييدها بزمن معين؛ ولهذا ناسب التعبير عنها بالمصدر الصريح الدال على تكثيف جانب الحدث. ثم تحول النسق اللغوي عن مطلق الحدث، إلى الحدث المصحوب بالنص الصريح في الدلالة على الزمن مراعاةً لحال المخاطبين. وذلك في قوله: ﴿ وَأَنْ تُشْرِكُوا﴾، ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا ﴾، وللوقوف على دلالة هذين المصدرين المؤولين لا بد من معرفة مكوناتهما التركيبية وخصائصها الدلالية، وتتمثل في ما يأتي:

[أَنْ (تنفي عن الفعل معنى الحال، وتخلصه للاستقبال) + الفعل (حدث وزمن معين) + المسند إليه (الضمير العائد على المشركين)]، وبهذا يختلف تكوين المصدر المؤول عن المصدر الصريح باشتمال المؤول على جميع عناصر الحدث. وخُصَّ حدثُ الشركِ بالله والتَّقَوُّلِ على الله بالمصدر المؤول؛ لأنَّ إشراكَ غيرِ الله معه في العبادة، والتَّقَوُّلَ على الله في أسمائه وصفاته وأفعاله لَجُرْمٌ عظيمٌ؛ لأنَّ فيها تغييرًا لدين الله وشرعه ومنهاجه؛ ولفداحة هذا الجرم آثر التعبير القرآني نقل الحدث مع تَلَبُّسِ أولئك المجرمين به، وهذا لا يكون إلا بالمصدر المؤول الذي يعمد إلى إحضار المسند إليه متلبِّسًا بالفعل.

ثانيًا: التحول عن المصدر المؤول إلى المصدر الصريح

وذلك كقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٢٥]. إنَّ هذه الآية تُلَخِّص مراودة امرأة العزيز ليوسف – عليه السلام –، فقوله: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ من الإيجاز الذي تجتمع فيه المعاني؛ فيأسر العقل بجماله وعلوِّ بلاغته؛ فكل منهما قد استبق الباب، لكنَّ استباق يوسف ليس كاستباق امرأة العزيز؛ فهو يستبق ليهرب عنها وينجو بنفسه منها، وهي تستبق لتلحق به وتمنعه من الهرب، والمفاجأة أنهما يجدان العزيز لدى الباب، فتباغته امرأته بقولها: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وكان

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

النسق اللغوي يقتضي أنْ يكون التعبير: إلا سَجْنٌ أو عذابٌ أليمٌ، بتعاطف المصدرين الصريحين، أو يكون: إلا أنْ يُسْجَن أو أنْ يعذب، بتعاطف المصدرين المؤولين، لكن النسق اللغوي للآيات آثر التعبير عن السجن بالمصدر المؤول فضلا عن البدء به وتأخير المصدر الصريح (عذاب)؛ فأما علة التعبير بالمصدر المؤول (أنْ يسجن) فهي لأنَّ (أنْ) المصدرية تخلص الحدث إلى المستقبل، لكن المستقبل بواسطتها ليس بالبعيد، ومعنى ذلك أنَّ المراد بالسجن قد يكون يومًا أو أقل على سبيل الترهيب؛ لأنَّ امرأة العزيز – في حقيقة أمرها – قد أحبت يوسف – عليه السلام –، وقد رصد الخطاب القرآني هذه الحقيقة وأجراها على لسان النسوة في المدينة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾ [يوسف:٣٠]، ولو كانت تقصد السجن الدائم له لقالت: يجب أنْ يجعل من المسجونين[١]، كما قال فرعون حين هدَّد موسى – عليه السلام –: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء:٢٩]، كما أنَّ من شأن المصدر المؤول أنْ يستحضر المسند إليه، وهو هنا الضمير العائد على يوسف، واستحضاره هنا مبالغة من امرأة العزيز في تخويفه. وأما عن دلالة البدء بالمصدر المؤول (أنْ يسجن) وتأخير العذاب – فضلا عن تنكيره – فهي " لأنَّ المحب لا يسعى في إيلام المحبوب "[٢].

(١) انظر: روح المعاني: ٢١٨/١٢، ٢١٩.
(٢) السابق: ٢١٨/١٢.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

تَبَيَّنَ من خلال هذا البحث أنَّ الزمن لا ينحصر في الصيغ الفعلية المسموعة فحسب، وإنما يمتدُّ ليشمل الصيغ الاسمية التي تعمل عمل الفعل، وبناء الجملة الذي يدل على الزمن معتمدًا على القرائن اللفظية والمعنوية، فضلا عن أنَّ السياق اللغوي هو المنوط بتحديد الدلالة الزمنية للصيغة، سواء أكانت اسمية أم فعلية. وذلك بالإضافة إلى ما يأتي من نتائج:

- جاء التحول الزمني في الصيغ الفعلية والاسمية تأكيدًا على مراعاة حال المخاطَب، ومراعاة الأحوال النفسية والعلاقات المحيطة بالموقف اللغوي.

- الوقوف على الدلالة الزمنية للحدث الكلامي عنصرٌ أصيلٌ من عناصر تحليل الخطاب؛ لأنها ترشدنا إلى الآلية التي نظم من خلالها المتكلم ما يريد أن يقوله وفقا لحالة المخاطَب.

- يختلف التعبير بالمصدر الصريح عن التعبير بالمصدر المؤول، فإن كان المصدر الصريح يتميز بتسليط الضوء على مطلق الحدث فإن المصدر المؤول يدل على الحدث مقرونا بزمن معين، ويعمد إلى إحضار المسند إليه متلبِّسًا بالفعل.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (دت).
- أنيس، د. إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧/١٩٨٥م.
- التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، ط١/١٩٩٦م.
- جحفة، عبد المجيد، دلالة الزمن في العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١/٢٠٠٦م.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/٢٠٠٤م.
- الجندي، د. طه محمد،

-- التناوب الدلالي بين صيغ الوصف العامل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م.

– المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة، دار الثقافة العربية، القاهرة، (دت).

- ابن جني، أبو الفتح عثمان،

– الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (دت).

– اللمع في العربية، تحقيق: د. سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، ١٩٨٨م.

- حمداوي، د. جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف، ط١/٢٠١٥م.
- حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط٤/١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م.
- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٣م.
- الرازي، الإمام محمد فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١/١٤٠١هـ=١٩٨١م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

- الرضي، محمد بن الحسن الرضي، شرح الرضي على الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢/١٩٩٦م.
- الريحاني، د. محمد عبد الرحمن، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، (دت).
- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، الجمل في النحو، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٤هـ=١٩٨٤م.
- الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (دت).
- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، ط١/ ١٤١٨هـ=١٩٩٨م.
- السامرائي، د. فاضل صالح، معاني الأبنية في العربية، دار عمار، عمان، الأردن، ط٢/١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.
- السامرائي، د. إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣/١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣/١٤١٧هـ=١٩٩٦م.
- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، نتائج الفكر في النحو، تحقيق الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢/١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

- السيوطي، العلامة جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دت).
- ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي، أمالي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (دت).
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكيني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، (دت).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: د. عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط١/١٤٢٢هـ=٢٠٠١م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، (دت).
- عبد العظيم، د. أحمد، الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة العربية، دار النصر للنشر والتوزيع، جامعة القاهرة، (دت).
- العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، نهضة مصر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.
- ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الطلائع للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٣/١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.
- فضل، د. صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد١٦٤، أغسطس١٩٩٢م.
- الفضلي، د. عبد الهادي، دراسات في الفعل، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٢هـ=١٩٨٢م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن والمبيِّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner

- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١/١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.
- المخزومي، د. مهدي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤٠٦هـ=١٩٨٦م.
- المطلبي، د. مالك يوسف، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٢/١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- هارون، عبد السلام، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥/١٤٢١هـ=٢٠٠١م.
- هالين، فرناند، التداولية، ترجمة: د. زياد عز الدين عوف، الآداب العالمية.
- هنداوي، د. عبد الحميد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
- ياقوت، د. محمود سليمان، ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٥م.
- ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل، إدراة الطباعة المنيرية، مصر،(دت).
- يول، جورج، التداولية، ترجمة: د. قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط١/١٤٣١هـ=٢٠١٠م.

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner